

مشكلة اللبنانيين هي حريتهم

بقلم الدكتور نبيل الطويل

جريدة النهار ٢٢/٩/٢٠٠٠

لماذا الدهشة لمضمون بيان مجلس المطارنة؟ ولماذا الاسراع في عقد الاجتماعات واصدار البيانات والتأهب للدفاع عن الوجود السوري والاشادة بالتضحيات الغالية وصيانة الامن والاستقرار؟ ولماذا الكلام عن العلاقات المميزة والروابط العائلية ودعم المقاومة؟ ان لبنان، وقد خبر كل المآسي والاحتلالات والهيمنة والقهر، ليس في حاجة الى وحدة ابنائه مسلمين ومسيحيين، وليس في حاجة الى تكاتف الجهود للحفاظ على الوحدة الوطنية التي يتغنى بها اصحاب السيادة والمعالي عند كل شاردة وواردة. ان مشكلة لبنان الوطن، لبنان المسيحي والمسلم، هي مشكلة الحرية لا الوحدة:

بحرية لبنان تصان الوحدة حتى تصبح منيعة عاصية على اي طغيان،

حريتهم في حقوق انسانهم

حريتهم في جوهر هويتهم

حريتهم في مصدر قوتهم وغايتها

حريتهم في سيادتهم وحق تقرير مصيرهم.

ان في صميم الدعوة الى وحدة الابناء والصف، خوفاً وجودياً من طعن الحرية الراشدة. فالدول التي تحكم وتعسكر على هذا الاساس، دول سجن حديدي حيث المسلم والمسيحي "يتكاتفان ويتعانقان" موحدين وراء القضبان... في انتظار الحرية!!!

وان في صميم الحرية احتراماً كيانياً نبيلاً نحو لقاء الآخر. فدول تنتشأ على هذا الاساس هي دول ارض الانسان. وهذا هو فعل ايمان اللبنانيين بالحرية.

الشعب الحر هو الذي يرفض القهر والانهازم ويقاوم الزاحفين عليه والمنتهزين على حساب الوطن والكرامة والسيادة. ألم يحن الوقت ان نعترف بخبرة التاريخ المريرة وبالحدث المرهق حول مدى الاذى المميت الذي لحق بالوطن بسبب سلب الحرية والكرامة؟

أليس نداء المطارنة بمثابة خطاب سيادي واضح المعالم، يجب الالتقاء حوله، لترسيخ الحوار الجدي والفعال لمواجهة التحديات الداخلية والتقلبات الاقليمية من اجل ابتكار الحلول السليمة للمشاكل؟ ان النداء

كان موجهاً الى كل من يهمة الامر في لبنان وخارجه. موجه اولاً: الى السلطات اللبنانية الحاكمة لعلها تعي خطورة الوضع والمصير.

ثانياً: الى القيادة السورية المسؤولة مباشرة عن لبنان وعن حكامه.

ثالثاً: الى الرأي العام العالمي والامم المتحدة حيث ولد القرار ٥٢٠ و... دستور الطائف!

ان بكركي تشهد للحق وهي "المرجعية للشهادة للحق" (المطران خضر في مقاله "رسالة الى المسيحيين") ولكن من المعيب ان يتبرع البعض للرد على النداء والدفاع عن الوجود السوري والسيادة السورية. ان ما يراد من هذا النداء هو الجرأة من اللاعب الكبير، وليس من الابواق الداخلية، الجرأة في البوح بما يفعل في لبنان. فهذا النداء يطرح بصراحته، وهذا ما يردده اكثر اللبنانيين مسلمين ومسيحيين، مشكلة الكرامة الوطنية والحق في الحياة الحرة وحق تقرير المصير.

انه يطرح اسس التعايش السليم لانه يرفض العيش والتعايش تحت سيطرة المحتل.

مشكلة اللبنانيين، مسلمين ومسيحيين، مؤمنين او ملحدين، علمانيين او رجال دين، تكمن في جوهر حريتهم لا في وحدة صفهم. فالى من يهمة الامر من لبنانيين مقيمين او مغتربين او على اهبة السفر نقول ان الحرية هي فعل ايمان وهي الطريق الوحيد لبناء لبنان جديد حيث للفرد قيمة وله كامل حقوق الانسان المواطن، وللجماعة قيمة ولها كامل حقوق شخصيتها المعنوية.

حتى ١٣/١٠/١٩٩٠ كانت مواقف الصرح البطريركي تؤخذ بالاعتبار. بعد ١٣/١٠/١٩٩٠ اصبحت نداءات بكركي دون جدوى.

فنأمل ان يكون النداء الاخير سبيلاً الى الحوار والمصارحة من اجل ترسيخ الحرية وحق تقرير المصير.